STARDOM UNIVERSITY

جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية

ـ مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية ـ
تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم
العدد الرابع - المجلد الثالث 2025م

رقم الإيداع الدولي: ISSN 2980-3810

بسم الله الرحمن الرحيم

هئية تحرير مجلة ستاردوم العلمية المحكمة للدراسات الاسلامية و الشرعية

رئيس التحرير

د. أنس صبري - الأردن

المدقق اللغوي

د. فارس محمد العمارات

أعضاء هيئة التحرير

د.محمد همام سعيد - تركيا

د. زكريا الرطروط - الأردن

د. محمد فخري صويلح - عمان

د. وضحة المري - الكويت

د. أكرم النمراوي - قطر

د. نبيل بلهي - الجزائر

أعضاء اللجنة الاستشارية

أ. د رياض فرج بن عبدات - اليمن

أ.د عبد الرحمن الكيلاني - الأردن

أ.د سامي بن شعلال - الجزائر

أ. د عودة عبد عودة عبد الله - فلسطين

أ. د هيثم خزنة - تركيا

أ.د محمد المشهداني - العراق

د ثابت أبو الحاج - ماليزيا

أ. د أحمد إبراهيم يوسف سعدية - مصر

أ.د عبد الله الجديع - بريطانيا

د. كلثم الماجد - الإمارات العربية المتحدة

د. هيثم زماعرة - أمريكا

جميع حقوق الملكية الأدبية و الفنية محفوظة

لمجلة ستاردوم العلمية المحكمة للدراسات الاسلامية و الشرعية

مظاهرُ تمردِ كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– والأساليب التي واجههم بها (سورة هود أنموذجًا)

The Manifestations of Quraysh's Rebellion Against Prophet (peace be upon him) – The Methods he Used to Confront them: A Case Study of (Surat Hūd

د. فائز جمعان خميس بن مركب

أستاذ التفسير المساعد

Dr.Fa'z Juma'an Khameess Bin Markad
Associated Professor of Tafsir

د. صفوان عبد الوهاب نعمان الأحمدي

أستاذ التفسير المساعد

Safwanepp14@gmail.co

كلية الآداب ـ جامعة المهرة

Dr. Safwan Abdulwahab Nu'amman Al-Ahmadi
Associated Professor of Tafsir

Faculty of Arts- Mahara University

ملخص البحث:

يناقش هذا البحث "**مظاهرَ تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– والأساليب التي واجههم بها**"، والمقتصر على سورة هود كإنموذج، وقد حوى تمهيدًا، وأربعة مباحث، وخاتمة، كان التمهيد عبارة عن تعريف عام بسورة هود وبمصطلحات البحث، بينما تحدث المبحث الأول عن مطلب النبي ––صلى الله عليه وسلم–– من قومه، والغاية التي لأجلها أُرسل، مع النذارة أو البشارة المترتبة على ذلك، أمّا المبحث الثاني – والذي يعتبر صلب البحث– فكان عن مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–، حيث تعددت هذه المظاهر وتفاوتت، كان أبرزها: الإعراض عن القرآن الكريم وتكذيبه، وإنكار البعث، واستعجال العذاب، والافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، ومع كل مظهر من هذه المظاهر بيّن الباحثان الأسلوب الذي واجه به النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا التمرد، وكان المبحث الثالث عن أَثَر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– وتسلية ربّه له إِثْر تمردهم عليه –صلى الله عليه وسلم– ، ويأتي المبحث الرابع والأخير ليضع العلاج الناجع بين يدي القارئ حول المنهج الرباني التحصيني من نهج المتمردين، وهو المنهج الذي خُتمت به سورة هود –محل الدراسة–، والمتمثل بالاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان، والتحذير من الركون إلى الكافرين، مع الحث على إقامة الصلاة ولزوم الصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما ، وفي تمام البحث توصل الباحثان إلى جملة من **النتائج** كان من أبزرها: أن الإعراض عما أنزل الله هو أول الأسباب الموصلة إلى التمرد على الحق، وكما أن سورة هود ذكرت التمرد وأسبابه، فإنها في المقابل خُتمت بمنهج يقي من الوقوع في شيء من ذلك، ومن النتائج أن إيراد تمرد كفار قريش في سورة هود مع تمرد الأمم السابقة إنّما هو لتثبيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وتسليته، وقد ذكر الله ذلك صراحة في نهاية السورة، ومن النتائج أن تنوع هذه الأساليب التي واجه بها النبي –صلى الله عليه وسلم– متمردي قريش فيها رسم للمنهج المتبع مع المتمردين على الحق في كل زمان ومكان، وأن يُعامل كل متمرد بما يناسب تمرده، كما كان من أبرز **توصيات** البحث: عمل دراسة عن التمرد في العصر الحديث خاصة في الجانب السياسي، لمعرفة الدواعي والأسباب للتمرد مع استنباط الأساليب المناسبة لمواجهته والحلول لمعالجته من القرآن الكريم والسنة النبوية.

Abstract

This study discusses "the manifestations of Quraysh's rebellion against the Prophet (peace be upon him) and the methods he used to confront them," focusing specifically on Surah Hūd as a model. The research includes an introduction, four main sections, and a conclusion.

The introduction presents a general definition of Surah Hūd and the key terms used in the study. The first section addresses the Prophet's (peace be upon him) call to his people, the purpose for which he was sent, and the warnings and promises associated with the mission.

The second section, which constitutes the core of the research, examines the manifestations of Quraysh's rebellion against the Prophet (peace be upon him). These manifestations were diverse and varied, the most prominent of which were: turning away from the Qur'an and denying it, rejecting resurrection, hastening the punishment, inventing lies against Allah, hindering others from His path, and disbelieving in the Hereafter. For each of these manifestations, the researchers outlined the method used by the Prophet (peace be upon him) to confront such rebellion.

The third section discusses the impact of Quraysh's rebellion on the Prophet (peace be upon him) and how Allah consoles him due to their rebellion.

The fourth and final section presents a practical remedy outlining juridical protective methodology against rebellion in which Surah Hūd concludes with. This includes steadfastness upon Allah's commands, avoiding transgression, warning against relying on the disbelievers, establishing prayer, adhering to patience, giving advices and denying evil, and clarifying the consequences of neglecting these duties.

In the conclusion, the researchers arrived at several findings, the most significant of which are:

Turning away from what Allah has revealed is the primary cause leading to rebellion against the truth. Just as Surah Hūd details the manifestations and causes of rebellion,

it also concludes with a methodology that protects one from falling into it. Mentioning Quraysh's rebellion alongside that of earlier nations serves to strengthen and console the Prophet (peace be upon him), as explicitly stated at the end of the Surah. The diversity of the methods used by the Prophet (peace be upon him) in confronting the rebels of Quraysh provides a model for dealing with rebellion against the truth in every time and place, where each form of rebellion should be met with an appropriate response. Among the most notable recommendations of the study is conducting further research on modern day rebellion, particularly in the political sphere; to identify its causes and motives and to derive appropriate methods of dealing with it, as well as solutions for addressing.

STARDOM UNIVERSITY

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

القرآن الكريم مصدر هداية للناس في كل مجالات الحياة، وجلُّ هذه المجالات ترتكز على التعامل فيما بينهم، والمسلم مطالب بأن يتعامل مع الآخرين حسب توجيه الله تعالى له في كتابه العزيز، خاصة فيما يترتب عليه ثواب أو عقاب، وأن مخالفة ذلك إيذان بالتمرد على مراد الله تعالى، وقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه العزيز أخبارَ أقوام أعرضوا عن رسلهم فقادهم إعراضُهم إلى التمرد والعصيان، وذلك في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، كان من ضمنها سورة هود عليه السلام، حيث ذكر الله تعالى فيها نبينا محمدًا –صلى الله عليه وسلم– وقومه، ونوحًا عليه السلام وقومه، وهودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا وموسى عليهم السلام وأقومهم، ولكل نبي من الأنبياء الكرام –آنفي الذكر– شأن مع قومه، حري بالبحث والتأمل، لكنَّ الباحثين اقتصرا على الحديث عن محمد –صلى الله عليه وسلم– وقومه، إذ أن السورة الكريمة أُفتتحت بالحديث عنه وعن دعوته واختتمت ببيان أنّ ما ورد في السورة هو تسلية وتثبيت له –صلى الله عليه وسلم– وموعظة وذكرى للمؤمنين في زمنه ومن بعده، كما أنّها ختمت أيضًا بوقفتين عظيمتين، الأولى عن مصير كلٍ من الأشقياء الذين تمردوا على الحق واتبعوا الباطل، والسعداء الذين اتبعوا الحق، والثانية عن المنهج الرباني للوقاية من الوقوع في نهج المتمردين، وتمت مناقشة ذلك في ثنايا البحث، وقد اشتمل البحث على الآتي:

أولًا: أهداف البحث:

1. إفراد الموضوع محل الدراسة بصورة مستقلة عن كتب التفسير والقصص القرآني.
2. بيان مظاهر المتمردين من كفار قريش ومعرفة مدى تأثر متمردي العصر الحاضر بها.
3. إبراز الأسلوب الدعوي لدى نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– في مواجهة المتمردين من قومه.

ثانيًا: أهمية البحث:

1. أنّ التمرد سبب رئيس في زعزعة السلم والاستقرار، فلابد من معرفة مظاهره وأسبابه.
2. الاستفادة من أسلوب نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– حيال المتمردين على الحق.
3. أنّ التمرد يخلق بيئة طاردة للتنمية خاصة للعقول المنتجة، مما يضطرها للهجرة.

ثالثًا: مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة الدراسة بوجود فجوة بحثية فيما يتعلق بظاهرة التمرد، على الرغم من انتشار هذه الظاهر في الأوساط المجتمعية، سواء كانت على مستوى الفرد أو الجماعات.

رابعًا: أسئلة البحث:

ما هي مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– في سورة هود، وما هي الأساليب التي واجههم بها؟

ما أثر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– وكيف كانت تسلية ربِّه له من خلال السورة؟

ما المنهج الرباني التحصيني من نهج المتمردين في سورة هود؟

خامسًا: الدراسات السابقة:

1- بحث محكَم بعنوان: **ظاهرة التمرد وعلاجها في القرآن الكريم**، للدكتور محمد مؤمن بامؤمن، الناشر: مجلة تدبّر، السعودية، العدد الخامس، 2018م.

ويتفق بحثنا معه من حيث الحديث عن التمرد وعلاجه، ويختلف من أن البحث المذكور كان من خلال القرآن الكريم بصورة عامة، كما أنّه تحدّث عن الظاهرة ذاتها، بينما بحثنا مقتصر على سورة هود وتحدث عن المظاهر التي سلكها المتمردون من كفّار قريش وعن الأساليب التي واجههم بها نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–.

2- بحث محكَم بعنوان: **أساليب مقاومة ملأ قريش للرسول محمد –صلى الله عليه وسلم–**، لسيد أحمد بن نعماني، الناشر: مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد الأول، المجلد 24، 2024م.

يتفق بحثنا معه من حيث الحديث عن المظاهر أو الأساليب التي استعملها كفار قريش، ولكن البحث آنف الذكر تحدث عن الأساليب بصورة عامة، سواء أكانت ثابتة في القرآن أو في كتب السيرة، ولم يتطرق إلى الكيفية التي واجه بها النبي–صلى الله عليه وسلم– هذه الأساليب، بينما بحثنا مقتصر على سورة هود وتحدث عن مظاهر تمردهم والأساليب التي واجههم بها.

سادسًا: حدود البحث:

سورة هود.

سابعًا: منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي.

ثامنًا: خطة البحث:

وقد تكونت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة، وقد سبق ذكرها.

التمهيد وفيه تعريف عام بسورة هود وبمصطلحات البحث.

المبحث الأول: مطلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه، والنذارة أو البشارة المترتبة على ذلك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مطلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه.

المطلب الثاني: النذارة أو البشارة المترتبة على مطلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه.

المبحث الثاني: مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–، والأساليب التي واجههم بها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن القرآن الكريم وتكذيبه، وأساليب مواجهة ذلك.

المطلب الثاني: إنكار البعث، واستعجال العذاب، وأساليب مواجهة ذلك.

المطلب الثالث: الافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، وأساليب مواجهة ذلك.

المبحث الثالث: أثر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– وتسلية ربِّه له، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–.

المطلب الثاني: تسلية الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم–.

المبحث الرابع: المنهج الرباني التحصيني من نهج المتمردين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان.

المطلب الثاني: عدم الركون إلى الظالمين.

المطلب الثالث: إقامة الصلاة ولزوم الصبر.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما.

خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولًا: التعريف بسورة هود.

قبل التعريف بالسورة الكريمة تجدر الإشارة للمناسبة بينها وبين سابقتها–سورة يونس– ولعلها كما يذكر البقاعي أنّه لما ختمت السورة التي قبلها بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال ابتدأت هذه السورة بوصفه –أي الكتاب العزيز–[1]، حيث قال سبحانه وتعالى: { الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } [سورة هود:1].

وأمّا عن التعريف بالسورة فهي سورة مكية بجميع آياتها البالغة مائة وثلاث وعشرون آية، وهو قول مروي عن ابن عباس [2]، وقيل بأنها كلها مكيّة إلا قوله تعالى: { وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ } [سورة هود:114]. [3]، وقيل مكية إلا الآية السابقة وكذا قوله تعالى: { فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ } [سورة هود:12]. وقوله تعالى: { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ} [سورة هود:17]. [4]، وقيل مكية عدا آيات أخرى غير هذه الآيات [5]، وبالجملة فالسورة مكية عند جمهور أهل التفسير غير بضع آيات وقع فيها خلاف حول مكيّتها أو مدنيتها.

وأمّا عن تسميتها فقد سُمّيت في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة النبوية بسورة هود، ولا يعرف لها اسم غير ذلك [6]، وهي تسمية توقيفية، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبتَ، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت» [7]، وعلة التسمية تخليدًا لاسم نبي الله هود عليه السلام الذي تكرر ذكره لخمس مرات في هذه السورة ولم يتكرر بهذا القدر في سواها.

ومن فضائلها أنّها تَثْبيت للنبي –صلى الله عليه وسلم– على تكذيب قومه له، وقد "نزلت السورة بجملتها بعد

---

(1) نظم الدرر: للبقاعي (9/ 224).

(2) يُنظر: بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 137)، الكشف والبيان: للثعلبي (156/5)، زاد المسير: لابن الجوزي (2/ 355)، أنوار التنزيل: للبيضاوي (127/3)، الدر المنثور: للسيوطي (399/4).

(3) يُنظر: معالم التنزيل: للبغوي (438/2)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (3/4).

(4) يُنظر: الكشاف: للزمخشري (377/2)، مفاتيح الغيب: للرازي (312/17)، التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي (365/1).

(5) يُنظر: المحرر الوجيز: لابن عطية (148/3).

(6) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (315/11).

(7) سنن الترمذي: باب: ومن سورة الواقعة (5/ 402)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

يونس، ونزلت يونس بعد الإسراء، وهذا يحدد معالم الفترة التي نزلت فيها، وهي من أحرج الفترات وأشقها ... في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب – وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله"[8].

ثانيًا: التعريف بمصطلحات البحث:

تعريف التمرد لغة واصطلاحًا.

التمرد لغة: مأخوذ من الفعل مرد، كنصر وكرم، مرودا ومرودة ومرادة، فهو مارد ومريد ومتمرد، والمارد: العاتي، والمَريدُ من شياطين الإنس والجن، وقد تمرَّدَ علينا: أي عتا واستعصى، وَمَرَدَ على الشَّرّ تَمَرّد: أي عتا وطغى[9].

اصطلاحًا: هو" الخروج على السلطة والقيم والقوانين والعقائد والأعراف السليمة، أو هو الخروج على ما ينبغي الالتزام به"[10]، كما أنّ من معانيه الإصرار على المعصية والولوج فيها، ومنه قوله تعالى في شأن المنافقين: {وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ } [سورة التوبة:101]، قال الطبري: أي "مرَنُوا عليه ودَرِبوا به"[11].

تعريف المظاهر لغة واصطلاحًا.

المظاهر لغة: جمع مظهر، وهو الصورة التي يبدو عليها الشيء، ظهر الشيء أو الأمر يظهر ظهورا فهو ظاهر وظَهِيرٌ، إذا انكشف، والظَّاهِر: خِلَافُ البَاطِنِ وبرز [12].

اصطلاحًا: تعرف الظاهرة بأنها موضوع ذو وجود خارجي حقيقي، كما تعرَّف بأنها أمر ينجم بين الناس ويعم [13]، ومظاهر كفار قريش المرادة في البحث هي تلك التي واجهوا بها النبي –صلى الله عليه وسلم– من الأعراض أو التكذيب أو الاستهزاء على ما سيأتي بيانها في ثنايا البحث.

تعريف الأساليب لغة واصطلاحًا.

الأساليب لغة: جمع أسلوب وهو الطريق والوجه والمذهب والفن[14].

---

(8) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (1840/4).

(9) يُنظر: تهذيب اللغة: للأزهري، (14/ 84)، لسان العرب: لابن منظور (3/ 400)، القاموس المحيط: للفيروز أبادي (ص: 319).

(10) دائرة معارف الأسرة المسلمة: علي بن نايف الشحود (ص: 158).

(11) جامع البيان: للطبري (15/ 356).

(12) تاج العروس (12/ 484)، مقاييس اللغة (3/ 471).

(13) ينظر: معجم مقاييس اللغة (3/ 741)؛ مجمع اللغة العربية المعاصرة (2/ 1443).

(14) ينظر: لسان العرب (1/ 471)؛ مختار الصحاح (308).

اصطلاحًا: هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم، كما أنه الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها، والأساليب هي القوالب والأشكال والكيفيات التي تعرض فيها الدعوة [15].

المبحث الأول: مطلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه والنذارة أو البشارة المترتبة على ذلك، وفيه مطلبان:

تضمن صدر سورة هود أمهات العقيدة وأصولها، كما أطلق عليها صاحب الظلال [16]، وقسمها البقاعي من قبلُ إلى ثلاثة فصول، فصل الإلهية، وفصل الرسالة، وفصل التكاليف [17]، وهذه الأمهات والأصول أو الفصول، منها ما هو مطالبُ النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه–بل ومطالب كل الأنبياء من أقوامهم–، ومنها ما هو بشارة لمن استجاب، ونذارة لمن تمرد عن هذه المطالب، وتمت دراستها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول مطالبُ النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه.

أتت مطالب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه مرتبة من الأعلى إلى الأدنى، فقد ابتُدِأَت بمعرفة الله تعالى وعبادته، ثمّ معرفة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، ثم العمل بتكاليف الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– ، فقال سبحانه وتعالى على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم–: { أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ } [سورة هود:2–3].: "وتمت دراسة هذه الأصول الثلاثة على النحو الآتي:

أولًا: الدعوة إلى توحيد الله عز وجل _فصل الإلهية_:

يوحي الله تعالى لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يدعو قومه الى توحيده عز وجل، وإفراده بالعبادة دون سواه، فقال: {ىٰ ير يز يم}، ثمّ بيّن له في ثنايا السورة أنّ هذه الدعوة ليست بدعًا من القول، فقد دعا بها من قبله نوح وهود وصالح وشعيب وموسى عليهم السلام.

(15) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (2/ 303)، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة (2/ 543)، الدعوة فئة المتخصصين في العلوم الشرعية (150).

(16) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (1851/4).

(17) يُنظر: نظم الدرر: للبقاعي (502/3).

ولقوله سبحانه: { أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ } تقدير ومعنى، وفي تقديره "وجهان: أحدهما: أن كتبتُ في الكتاب ىٰ ير يز يم الثاني: أنه أمَرَ رسولَه –صلى الله عليه وسلم– أن يقول للناس { أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ }" [18]، وقال الزمخشري: "ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأ منقطعًا عما قبله على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم–، إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله: { إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } [19]

وأمّا المعنى: فهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، قال الخازن: "والمراد بالعبادة التوحيد، وخلع الأنداد والأصنام وما كانوا يعبدون، والرجوع إلى الله تعالى وإلى عبادته، والدخول في دين الإسلام"[20] وهذا هو المطلب الأعظم للنبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه، إذِ " النهي عن عبادة غير الله وإيجاب عبادة الله هو أصل الدين، وإليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله تعالى بالدليل، وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل، ولذلك تكرر الأمر بالتوحيد والاستدلال عليه في القرآن الكريم"[21].

ثانيًا: بيانُ أنّه مرسل من عند الله عز وجل _فصل الرسالة_:

يقول صاحب الظلال: الإقرار بالرسالة أساس للتصديق بهذه القضايا التي جاءت الرسالة لتقريرها، وكل شك في أن هذا من عند الله، كفيل بتحطيم احترامها الملزم في عالم الضمير، كما أن الإقرار بها هو الذي يجعل هناك ضابطا لما يريده الله من البشر؛ كي يتلقى البشر في كل ما يتعلق بالدينونة لله من مصدر واحد [22]

ولهذا بعد أن طلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه أن يوحدوا الله أبلغهم بأنّه مرسل من عند الله، وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: { إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ } فقيل :" كلام على لسان الرسول –صلى الله عليه وسلم–، أي إنني أنذركم، من الحكيم الخبير، عقاب الشرك وتبعته، وأبشركم منه بثواب التوحيد وفائدته" [23] "وقيل : هو من قول الله أولا وآخرا ؛ أي لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير ؛ أي الله نذير لكم من عبادة غيره، كما قال : { لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا

(18) النكت والعيون: للماوردي (265/2).

(19) الكشاف: للزمخشري (265/2).

(20) لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (216/3).

(21) التحرير والتنوير: لابن عاشور (315/11).

(22) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1853).

(23) محاسن التأويل: للقاسمي (73/6).

أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗوَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗوَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [سورة آل عمران:28]"[24]، والأول أولى؛ لأن "الضمير في قوله : { ئج} عائد إلى الحكيم الخبير، والمعنى : إنني لكم نذير وبشير من جهته"[25]

ولمّا كان قوله: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } مشتملًا على المنع عن عبادة غير الله، وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى، فهو عليه الصلاة والسلام نذير على الأول بإلحاق العذاب الشديد لمن لم يأت بها، وبشير على الثاني بإلحاق الثواب العظيم لمن أتى بها [26]، وقدم النذير لأن التحذير من النار هو الأهم [27]

ثالثًا: الاستغفار والتوبة _فصل التكاليف_:

بعد دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– قومَه إلى التوحيد، وإبلاغهم بأنّه مرسل من عند الله تعالى، دعاهم إلى الاستغفار والتوبة، قال تعالى: {وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ}

قال الطبري: "أمرهم تعالى ذِكْرُه بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم، وهم على شركهم مقيمون"[28].

وهذا التفريق بين الاستغفار والتوبة "إن كانت الآية في الكفار...أي: أسلِموا ثم توبوا إليه، أي: ارجعوا إليه عن كل معصية وكل مأثم تأتونها، وإن كان في المسلمين فهو ظاهر، فيكون قوله: استغفروا وتوبوا واحدا" [29]، قال الزمخشري: " استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة [30].

قال أبو حيان: "وهما معنيان متباينان، لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر، والمعنى: أنه لا يبقى لها تبعة، والتوبة الانسلاخ من المعاصي، والندم على ما سلف منها، والعزم على عدم العود إليها، ومن قال: الاستغفار توبة، جعل قوله: ثم توبوا، بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها [31].

---

(24) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (3/9).

(25) مفاتيح الغيب: للرازي (1/ 2417).

(26) يُنظر: مفاتيح الغيب: للرازي (1/ 2417).

(27) المحرر الوجيز: لابن عطية (165/3).

(28) جامع البيان: للطبري (229/15).

(29) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (95/6).

(30) الكشاف: للزمخشري (2/ 359).

(31) البحر المحيط: لأبي حيان (120/6).

والتفريق بينهما أولى، وأنّ الآية خطاب للكفار؛ لأن معنى العبادة في هذا الموضع كما أسلفنا: التوحيد [32]، وذلك جريا على الطابع العام لسورة هود، إذ أنّ معظم الرسل الذين ذُكِروا فيها دعوا قومهم بهذه الدعوة، والمراد بها التوحيد، والمسلم لا يطالب بالتوحيد، وإنّما بالثبات والاستقامة عليه، وتجديد الإيمان وزيادته، وهذا كثير في كتاب الله تعالى، منه قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [سورة الحجر :99]. "أي: واستقم على التوحيد" [33].

STARDOM UNIVERSITY

(32) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2/108).

(33) بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 264).

المطلب الثاني: النذارة أو البشارة المترتبة على مطلب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قومه:

بعد أن بين النبي –صلى الله عليه وسلم– لقومه أنّه نذير للمتمرد الشقي، وبشير للمستجيب التقي بقوله: {إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}بين لهم بعضًا من بشارة المستجيبين، ونذارة المتمردين، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: بشارته للمستجيبين:

قال تعالى: {يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ}، حوى هذا الجزء من الآية بشارتي الدنيا والآخرة، فأمّا بشارته للمستجيبين في الدنيا فقوله: {يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى}، ومعنى متاعًا حسنًا: أي: "يعيشكم عيشًا حسنًا في الدنيا في عافية ولا يعاقبكم بالسنين ولا بغيرها"[34]، والأجل المسمى: أي إلى منتهى آجالكم في هذه الحياة الدنيا [35]، ومتاع الدنيا الحسن على هذا المعنى ليس محصورًا على المستجيبين فحسب، بل قد يحصل عليه الأشقياء المتمردون، وهذا واقع منذ بداية البشرية حتى تمامها؛ لأنّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنّ عطاءه لهم إنّما هو على سبيل الاستدراج، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة الأنعام:44]، وقيل: "المتاع الحسن صفاء الأحوال، وسناء الأذكار، وحلاوة الأفكار وتجلي الحقائق، وظهور اللطائف، والفرح برضوان الله تعالى وطيب العيش بمشاهدة أنواره سبحانه"[36]، وهذا لا يكون إلا للمستجيبين، وأمّا بشارته لهم في الآخرة –على قول كثير من المفسرين–[37] فقوله: {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ} "أي يؤت كل ذي عمل من الأعمال الصالحات جزاء عمله" [38]، "ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا، على قول مجاهد" [39]، وبه قال الزجاج [40]، يقول صاحب الظلال: "وأرى أنها عامة في الدنيا والآخرة ... وذو الفضل

(34) تفسير مقاتل بن سليمان (108/2).

(35) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (108/2)، جامع البيان: للطبري (230/15).

(36) روح المعاني: للألوسي (6/ 217).

(37) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (114/2)، جامع البيان: للطبري (231/15، 232)، الكشاف: للزمخشري (2/ 359)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/ 4).

(38) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/ 4).

(39) النكت والعيون: للماوردي (2/ 457).

(40) يُنظر: معاني القرآن: للزجاج (3/ 38).

يلقى جزاءه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل، يجده رضى نفسيا وارتياحا شعوريا، واتصالا بالله وهو يبذل الفضل عملا أو مالا متجها به إلى الله، أما جزاء الله له بعد ذلك فهو فضل من الله وسماحة فوق الجزاء"[41].

ثانيًا: نذارته للمتمردين:

قال تعالى: {وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ}، قال ابن كثير: " هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله فإن العذاب يناله يوم القيامة لا محالة... وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام ترغيب"[42]، والمعنى كما قال الطبري: أي: "وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مولين عن ذلك، {فَإِنِّيٓ}، أيها القوم {أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ}، شأنه عظيم هوله، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون" [43]، وتمرد كفار قريش هو تكلّف للنفس ضد ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة وسهولة الانقياد لأمر الله تعالى[44].

وبعد بشارة المستجيبين ونذارة المتمردين، ذيّل الآية بتذكير الفريقين بمصيرهم الحتمي، وهو تذييل فيه بشارة ونذارة أيضًا، فقال: {إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}، قال الفخر الرازي: "إن هذا تهديد عظيم من بعض الوجوه، وبشارة عظيمة من سائر الوجوه، أما إنه تهديد عظيم فلأن قوله تعالى: {إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ} يدل على أنه ليس مرجعنا إلا إليه، وقوله: {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ} يدل على أنه قادر على جميع المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته والرجوع إلى الحاكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل، وأما إنه بشارة عظيمة فلأن ذلك يدل على قدرة غالبة وجلالة عظيمة لهذا الحاكم، وعلى ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد، والملك القاهر العالي الغالب إذا رأى عاجزا مشرفا على الهلاك فإنه يخلصه من الهلاك"[45].

(41) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1855).

(42) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4/ 263).

(43) جامع البيان: للطبري (15/ 232).

(44) يُنظر: نظم الدرر: للبقاعي (3/ 500).

(45) مفاتيح الغيب: للرازي (17/ 317).

المبحث الثاني: مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–، والأساليب التي واجههم بها، وفيه ثلاثة مطالب:

يُعتبر هذا المبحث صلب موضوع البحث، والذي ناقش مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد تعددت هذه المظاهر بناء على تعدد أخباره –صلى الله عليه وسلم– بمضمون رسالته، فعندما يدعوهم إلى توحيد الله يتمردون على هذا التوحيد، ويعجبون مِن جَعْل الآلهة المتعددة التي ألفوها إلها واحدا، وعندما يدعوهم إلى تصديق رسالته يسخرون من دعوته لهم واختصاصه بهذه الدعوة من الله وهو بشر مثلهم، وهكذا في الإيمان بالقرآن وأخباره، ومع هذه المظاهر من مظاهر التمرد فقد واجههم النبي –صلى الله عليه وسلم– بالأسلوب الأمثل والمؤيد بالحجج والبراهين، وفي السورة محل الدراسة ذكر الله تعالى صورًا من مظاهر تمرد كفار قريش والأساليب التي واجههم بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد تمت دراستها على النحو الآتي:

المطلب الأول: الإعراض عن القرآن، وعدم الاقتناع به، وتكذيبه، وأساليب مواجهة ذلك.

يُعدُّ إعراض الأشقياء من مشركي قريش عن القرآن الكريم وعدم الاقتناع به وتكذيبه من أبرز مظاهر تمردهم على النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد ذكر الله تعالى ذلك في مواطن عديدة من كتابه العزيز، منها الآيات محل الدراسة في هذه السورة، والمتأمل في تمردهم في هذه الآيات يجد أنّهم يتدرجون من مرحلة إلى أخرى، ومن عتوٍ إلى أعتى، فبدأوا بمرحلة الإعراض عن القرآن الكريم وعدم سماعه، ثم انتقلوا إلى مرحلة الاستخفاف به وعدم الاقتناع بمعجزاته، ثم أوصلتهم شقاوتهم إلى مرحلة التكذيب به جملة واحدة، وقد تمت دراسة هذه المراحل الثلاث من مراحل التمرد على القرآن الكريم مع بيان الأساليب التي واجههم بها النبي –صلى الله عليه وسلم– على النحو الآتي:

أولًا: مرحلة إعراض الأشقياء عن القرآن الكريم:

قال تعالى: {أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ} [سورة هود:5]، اختلف أهل التفسير في معنى قوله {يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ} على أقوال [46]: أبرزها قول قتادة، حيث قال: "كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله"[47]،

(46) يُنظر بقية الأقوال في النكت والعيون: للماوردي (457/2).

(47) جامع البيان: للطبري (235/15).

وبه قال مقاتل، حيث قال: "يعنى يلوون، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن، نكسوا رءوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن" [48]، وبنحوه قال الطبري أي: يحنون صدورهم [49]، وهذا إعراض حسي ومعنوي.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنّ معناه: يكتمون ما في قلوبهم [50]، وهذا إعراض معنوي، وهو كناية عن النفاق، بل وصرّح بعضهم بذلك، كما روي عن عبد الله بن شداد من أنّها نزلت في بعض المنافقين وكان إذا مر برسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثنى صدره وحتى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه؛ كي لا يراه النبي –صلى الله عليه وسلم– [51]، وهذا مشكل؛ لأنّه لم يكن في العهد المكي نفاق، وإنّما ظهر في العهد المدني [52]، قال البيضاوي: "وقيل نزلت في المنافقين، وفيه نظر؛ إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة"[53]

ولكنّ التعيين في سبب النزول يزيل هذا الإشكال، إذ أنّها نزلت في رجل بعينه، وهو الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام، حلو المنظر، يأتي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعجبه حديثه ويقربه مجلسه [54].

ويمكن الجمع بين المعنى الذي روي عن ابن عباس من جهة، والمعنى الذي روي عن قتادة وأورده مقاتل واختاره الطبري من جهة أخرى بأنّ إعراض كفّار مكة ككل كان إعراضًا حسيًا معنويًا، أي يلوون صدورهم حقيقة ويعرضون عنه في قلوبهم ابتداءً، بينما إعراض من نزلت الآية بشأنه كان إعراضًا معنويًا، أي يعرض عنه بقلبه ويظهر خلافه؛ وذلك لتقريب النبي –صلى الله عليه وسلم– له في مجلسه.

وأمّا ما روي عن عبد الله بن شداد من تصريح بأنّها نزلت في بعض المنافقين _بينما السورة مكية_، فالصورة التي ذكرها مِن ثني الصدور والظهر وطأطأة الرأس وتغطية الوجه فإنها تدل على أنّ هذا من فِعال المشركين، أمّا المنافق فإنّه يسمع للقرآن ظاهرًا ويكفر به باطنًا، كما أنّ الطبري في إحدى روايتيه لهذا الأثر عن ابن شداد لم يذكر فيه المنافقين [55] فدلّ هذا على أنّ الآية نازلة في كفار قريش.

---

(48) تفسير مقاتل بن سليمان (108/2).

(49) جامع البيان: للطبري (237/15).

(50) تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (1998/6).

(51) يُنظر: معالم التنزيل: للبغوي (439/2).

(52) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشاف (16/8).

(53) أنوار التنزيل: للبيضاوي (128/3).

(54) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (6/ 97)، الكشف والبيان: للثعلبي (157/5)، معالم التنزيل: للبغوي (439/2).

(55) يُنظر: جامع البيان: للطبري (234/15).

قال أبو منصور الماتريدي: "ويشبه ما ذكر من ثني الصدور أن يكون كناية عن ضيق الصدور؛ كقوله: {وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا} [سورة الأنعام:125]. أو عبارة عن الكبر؛ كقوله: {ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ} [سورة الحج:9]."[56]، وهاتان الصفتان _ضيق الصدر والكبر_ قد اجتمعتا في كفّار قريش، وسورتا الأنعام والحج مكيتان.

وفي المراد بقوله تعالى: {أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ} [سورة هود:5]. أقوال [57]، أقربها لإعراضهم آنف الذكر أن قومًا من الكفار كانوا لشدة بغضتهم لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذنهم؛ حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه، وهو معنى قول قتادة [58].

الأسلوب الذي واجههم به النبي -صلى الله عليه وسلم-:

واجه النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا المظهر من مظاهر تمرد كفار قريش بأسلوب الترهيب، ويمكن أن يُطلق عليه الإخبارُ التهديديُ بأنّ الله تعالى مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، وأنّه لا يخفى عليه شيء من ذلك، فقال سبحانه: {أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥} [سورة هود:5]، وأنّ الأمر ليس متعلقًا بهم فحسب، بل إلى ما هو أعظم وأعم وأشمل من ذلك، فقال سبحانه: {وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦} [سورة هود:6].

يقول صاحب الظلال: "والآيتان الكريمتان تستحضران مشهدا فريدا ترجف له القلوب حين تتدبره وتتصوره! ويا لها من رهبة غامرة، وروعة باهرة، حين يتصور القلب البشري حضور الله –سبحانه– وإحاطة علمه وقهره، بينما أولئك العبيد الضعاف يحاولون الاستخفاء منه وهم يواجهون آياته يتلوها رسوله... فالتعبير هكذا يلمس وجدانه _أي المُعرض_ ويوقظه، ويهزه هزة عميقة إلى هذه الحقيقة التي قد يسهو عنها "[59]

(56) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (6/ 97).

(57) يُنظر بقية الأقوال في النكت والعيون: للماوردي (458/2).

(58) يُنظر النكت والعيون: للماوردي (458/2).

(59) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1855).

ثانيًا: مرحلة عدم اقتناع الأشقياء بمعجزات القرآن الكريم:

لمّا رأى المشركون بأنّ إعراضهم عن القرآن وعدم سماعه لا يجدي نفعًا من كبحه وعدم انتشاره، انتقلوا إلى مرحلة أخرى هي أشقى من سابقتها، وهي المرحلة الثانية من مراحل التمرد على القرآن، فقالوا: {لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ} [سورة هود:12]. قال أبو السعود: وهو قولٌ فيه تهاونٌ بالوحي وعدم اقتناعٍ بما فيه من المعجزاتِ الظاهرةِ الدالةِ على كونه من عندِ الله عزَّ وجل، وعلى حقيّة نبوته –صلى الله عليه وسلم– [60]، وقال الزمخشري: " كانوا يقترحون عليه آيات تعنتًا لا استرشادًا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم"[61] وهذا هو عين التمرد والشقاء الذي يُحال أن يحصل معه المرء على سبيل للهداية، لأنّ حالهم كما قال الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة الأنفال:23].

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

من صور استخفاف الأشقياء أنهم طلبوا مزيدًا من المعجزات تعنتًا لا طلبًا للهداية، وطلبهم هذا ليس على الله بعزيز، ولكنّ وظيفته –صلى الله عليه وسلم– مقتصرة على البلاغ، فكان الأسلوب الذي واجه به تمردهم هذا أنّه مبلغ من ربّه، فقال سبحانه بعد طلبهم التعنتي: {إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ} [سورة هود:12]، " أي: إنك لست برب"[62]، و"ليس عليك إتيان ما سألوا، إنما ذلك تحكم منهم على الله تعالى وأماني، فعليك إبلاغ ما أنزل إليك؛ كقوله: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ} [سورة الشورى:48]" [63]، و"الذي فوض إليك هو النذارة لا تحصيل هدايتهم"[64].

ولعل في الاقتصار على النذارة من قوله {إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ} دون البشارة تهديد لهم بعد تمردهم على القرآن، بخلاف مطلع السورة، إذ ذكر فيها البشارة والنذارة فقال: {إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}؛ لأنها دعوة للناس كافّة، فقد

(60) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (191/4).

(61) الكشاف: للزمخشري (362/2).

(62) تفسير يحيى ابن سلام: (483/1).

(63) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (6/ 105).

(64) البحر المحيط: لأبي حيان (6/ 129).

استجاب أقوام فنالوا البشارة، وأعرض آخرون فبائوا بالخسارة عاقبة النذارة، قال صاحب الظلال: "وأبرَزَ صفةَ النذيرِ هنا لأن المقام يستوجبها مع أمثال هؤلاء"[65].

ثالثًا: مرحلة تكذيب الأشقياء للقرآن الكريم:

تكذيب الأشقياء للقرآن الكريم ناتج عن أسباب عدّة ذكرها الله تعالى في كتابه، منها العجز عن الإتيان بمثله، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ} [سورة الأنفال:31]. ثمّ لمّا عجزوا قالوا: {إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ} [سورة الأنفال:31]،. ومنها أنّ الكذب ملازم للكفر كما قال الله تعالى: {بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ} [سورة البروج:19]، {بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ} [سورة الانشقاق:22]. ومنها الكبر [66]، والران الذي على قلوبهم [67] ونحو ذلك.

وفي السورة محل الدراسة يذكر الله تعالى مظهرًا من مظاهر تمرد كفار قريش من تكذيبهم للقرآن، فبعد أن أضرب المولى سبحانه وتعالى عن قولهم: {لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ} [سورة هود:12]،. شرع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد من ذلك وهو افتراؤهم عليه بأنه افتراه [68]، فقال سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ} وأم **منقطعة** بمعنى: بل، قالوا: إنما يقول محمد هذا القرآن من تلقاء نفسه [69]، إذِ الضّمير البارز في افتراه عائد إلى القرآن [70] والاستفهام للتوبيخ والتقريع [71]، وقيل بأن أم **متصلة** والتقدير: أيكتفون بما أوحينا إليك، وهو ما في الإعجاز، أم يقولون ليس من عند الله[72].

(65) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1861).

(66) قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ} [سورة الأعراف:36].

(67) قال تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾} [سورة الأنعام:25].

(68) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (191/4)، فتح القدير: للشوكاني (486/2).

(69) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (111/2)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي (566/2).

(70) يُنظر: دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: للجرجاني (97/2)، والكشاف: للزمخشري (363/2)،. فتح القدير: للشوكاني (486/2).

(71) يُنظر: إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (191/4)، فتح القدير: للشوكاني (486/2).

(72) يُنظر: جامع البيان: للطبري (259/15)، محاسن التأويل: للقاسمي (80/6).

"والافتراء: الكذب الذي لا شبهة لصاحبه، فهو الكذب عن عمد"[73]، والزعم بأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد افتراه يستلزم التكذيب به لا محالة.

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

سبق وأنّ ذكرنا أنّ من أسباب تكذيب الأشقياء للقرآن هو عجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، فكان الأسلوب المناسب لمواجهتهم هو تحديهم بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لكشف هذا العجز الذي تلبسوا به من جهة، ولبيان أنّ القرآن من عند الله لا من عند البشر من جهة أخرى، فقال سبحانه وتعالى آمرًا النبي –صلى الله عليه وسلم– بالردّ على تمردهم هذا بقوله: {قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ} [سورة هود:13]، فإن هم عجزوا عن ذلك _وهو ما حصل لهم_ فلهم أن يستعينوا بمن شاءوا، فقال: {وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ} [سورة هود:13] "إلى المعاونة على المعارضة {إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [سورة هود:13] أنه مفترى"[74]، قال الشوكاني: "ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم بما يقطعهم ويبين كذبهم ويظهر به عجزهم" [75].

وفي ختام هذا المطلب فإنّ المتأمل في هذه المراحل الثلاث من مراحل التمرد على القرآن الكريم يَخلُص إلى أنّ المرحلة الأولى –وهي مرحلة الأعراض بأي صورة من صور الإعراض عنه وعدم سماعه– هي سبب لما بعدها من المراحل، بل وسبب لبقية مظاهر التمرد على النبي –صلى الله عليه وسلم–، يقول الله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾} [سورة الزخرف:36]، فأي شيء يقود المعرض إلى تمرده سوى الشيطان المُقيّض له بسبب إعراضه، والمتمردون قديمًا وحديثًا ما تمردوا على الحق وضلوا الطريق إلا لإعراضهم عن كلام الله، سواء أكان إعراضًا سماعيًا كما هو الحال مع كفار قريش، أو إعراضًا عمليًا كما هو الحال مع متمردي اليوم.

(73) التحرير والتنوير: لابن عاشور (19/12).

(74) مدارك التنزيل: للنسفي (50/2).

(75) فتح القدير: للشوكاني (486/2).

المطلب الثاني: إنكار البعث، واستعجال العذاب، وأساليب مواجهة ذلك.

أولًا: إنكار كفار قريش للبعث:

من لوازم دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– إبلاغ الناس كافة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب، وثواب أو عقاب، فآمن بذلك أقوام وأنكره آخرون، قال تعالى واصفًا حال المنكرين المتمردين عن هذا الأمر: {وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [سورة هود:7]، قال أبو منصور الماتريدي [76]: وهذا من سفههم إذِ اعتادوا نسبة كل شيء إلى السحر، حتى الأشياء التي لا تحتمل السحر وهو الإخبار؛ لأن السحر إنما يكون في تقليب الأشياء، وأما فيما يخبر عن شيء يكون فلا.

وسبق أن بيّنّا في المطلب السابق أن الأشقياء من كفّار قريش كذّبوا بالقرآن جملة واحدة، وإنكارهم للبعث هنا هو جزء من تكذيبهم للقرآن أيضًا، فقد قالوا: {إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}، قال الزمخشري: "لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره"[77]، ومن قرأ: "ساحر" [78] ردّه إلى محمد (–صلى الله عليه وسلم–) [79]، هذا على أن الإشارة إلى القرآن، وقيل أنّها إشارة إلى القول أي: إنْ قولك إنكم مبعوثون إلا سحر، أي: بطلانُ هذا القول كبطلان السحر، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلت عليه الجملة من البعث[80]، وعلى كل الاحتمالات في المشار إليه فقولهم هذا تكذيب للقرآن وتمردّ على ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وسبب استبعادهم البعث بعد الموت يعود لتقاصر علومهم عن التحقّق بكمال قدرة الحق، ولو عرفوا ذلك لأيقنوا أن البعث ليس بمعضل في الإيجاد ولا بمستحيل في التقدير [81].

(76) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (101/6).

(77) الكشاف: للزمخشري (361/2).

(78) قرأ حمزة والكسائي " ساحر"، يُنظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي (151/1).

(79) الكشف والبيان: للثعلبي (159/5).

(80) البحر المحيط: لأبي حيان (126/6).

(81) يُنظر: لطائف الإشارات: للقشيري (125/3).

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

جرت عادت القرآن في هذا السورة أن الله تعالى يذكر صورة تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– ومن ثمَّ يأتي الأسلوب المناسب لموجهة هذا التمرد، ولكن في هذه الصورة من التمرد فقد ذكر الله تعالى الأسلوب الحكيم للرد على تمردهم ومن ثمَّ ذكر صورة التمرد، إذ ردّ عليهم بآيتين من آيات قدرته وصنعه الحكيم، **الأولى:** قوله سبحانه تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ} [سورة هود:7]، قال الزجاج: "وأعلمهم الله – عز وجل – أن القدرة على خلق السماوات والأرض تدل على بعث الموتى"[82] "وكان المشركون يُكَذِّبون بأنّه يبعث الموتى، ويقرون أنه خالق السماوات والأرض"[83]، وفي هذا تناقض عجيب، فكيف للذي يقرُّ بأنّ الله خالق السماوات والأرض أن ينكر ما هو أهون على الله من خلقهن، وهو البعث، قال تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾} [سورة الشورى:29].

والثانية قوله سبحانه: {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ}، قال الواحدي:وفي وقوف العرش على الماء، والماء على غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الإنكار [84].

فالأسلوب الذي واجه به النبي –صلى الله عليه وسلم– الأشقياء إنكارهم البعث هو لفتٌ لانتباههم إلى عظيم خلق الله تعالى، وقدرته على ما هو أعظم من البعث والنشور، قال ابن عاشور: "فالمقصود من هذا الخبر لازمه وهو الاعتبار بسعة علمه وقدرته" [85]، ويقول صاحب الظلال: " ومن ثم يبدو التكذيب بالبعث والحساب والجزاء عجيبًا غريبًا في هذا الجو... فما أعجبها قولة، وما أغربها، وما أكذبها في ظل هذا البيان الذي تقدمها"[86].

(82) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (40/3).

(83) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (39/3).

(84) التفسير الوسيط: للواحدي (565/2).

(85) التحرير والتنوير: لابن عاشور (7/12).

(86) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1859).

ثالثًا: استعجال كفار قريش بالعذاب:

من أبرز صور تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– التكذيب بكل ما جاء به، فتارة يكون التكذيب مباشرة، وتارة يكون بصيغة سؤال تعنتي كما سبق، وأحيانا بصيغة سؤال استهزائي، وفي الموضع محل الدراسة اختلف أهل التفسير في الصورة التي ظهر بها تمردهم على النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال تعالى: {وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓ} [سورة هود:8].

قال الماوردي: وفي قولهم ذلك وجهان: **أحدهما:** أنهم قالوا ذلك تكذيبًا للعذاب لتأخره عنهم [87]، وهو قول الطبري، حيث قال: "يقول: {لَّيَقُولُنَّ} هؤلاء المشركون {مَا يَحۡبِسُهُۥٓ}؟ أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكذيبا منهم به، وظنا منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد" [88].

الثاني: أنهم قالوا ذلك استعجالًا للعذاب واستهزاء، بمعنى ما الذي حبسه عنّا؟![89]،"على وجه الاستهزاء"[90]، وإنْ كان هذا القول أظهر؛ لقوله تعالى في تذييل الآية: {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ} ولكنّ الجمع بين القولين أولى، فهم ما استهزأوا إلا لأنّهم كذّبوا، قال الواحدي: "يقولون ذلك تكذيبا واستهزاء" [91].

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

مظهر التمرد على الأنبياء واستعجال العذاب هو ديدن أهل الكفر من كل الأمم، وقد كانت الأمم السابقة تنال نصيبها من ذلك عاجلًا في الحياة الدنيا، بينما هذه الأمّة مؤجلة العذاب، فكان الأسلوب الأمثل لمواجهة متمردي قريش باستعجالهم العذاب تكذيبا واستهزاءً هو التهديد والوعيد، فقال تعالى ردًّا على استعجالهم هذا: {أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨} [سورة هود:8]، قال البقاعي: " وهو تهديد

(87) النكت والعيون: للماوردي (2/ 460).

(88) جامع البيان: للطبري (15/ 254)، وبه قال ابن عطية، يُنظر: المحرر الوجيز (169/2).

(89) النكت والعيون: للماوردي (2/ 460).

(90) بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 120)، وبه قال البيضاوي، يُنظر: أنوار التنزيل (129/3).

(91) التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 565)، وبهذا الجمع قال الزمخشري، يُنظر: الكشاف (362/2).

لهم بأنه آتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك"[92] ويقول ابن عاشور: " وهذا تهديد وتخويف بأنّه لا يصرف عنهم ولكنه مؤخر"[93]، ومعنى {وَحَاقَ} أي: حل وأحاط، وهي مستعملة في المكروه[94].

ويتلخص عناد المشركين وتهكّمهم وتمردهم على دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا المطلب أنّهم إذا أخبرهم بالبعث وأنّ شركهم سببٌ لتعذيبهم جعلوا كلامه سحرًا، وإذا أنذرهم بعقوبة العذاب على الإشراك استعجلوه، فإذا تأخّر عنهم إلى أجل اقتضته الحكمة الربّانيّة استفهموا عن سبب حبسه عنهم استفهام تَهكم ظنًا أن تأخره عجز[95].

(92) نظم الدرر: للبقاعي (506/3).

(93) التحرير والتنوير: لابن عاشور (10/12).

(94) يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 169).

(95) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (10/12).

المطلب الثالث: الافتراء على الله، والصد عن سبيله، والكفر باليوم الآخر، وأساليب مواجهة ذلك.

أولًا: الافتراء على الله:

والافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه: إنه ليفري الفرى، وقيل هو الكذب عن عمد وأما الكذب لا عن عمد ليس بافتراء [96]، ويتفاوت جرم الافتراء بحسب المُفْتَرى عليه، فـ"الافتراء على الله تعالى أعظم أنواع الظلم"[97]، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا} [سورة هود:18]، وهذا الضرب من الافتراء هو أحد مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومناسبة الآية لما قبلها أنّه "لما انقضى الكلام من إبطال زعمهم أنّ النبي (–صلى الله عليه وسلم–) افترى القرآن ونسبه إلى الله، وتعجيزهم عن برهان لما زعموه، كَرّ عليهم أن قد وضح أنهم المفترون على الله عدة أكاذيب، منها نفيهم أن يكون القرآن منزّلًا من عنده"[98].

وصورة الافتراء المراد في الآية أن يُسنَد إليه تعالى ما لم ينزله، أو يُنفى عنه ما أنزله [99]، والمتمردون من كفّار قريش أسندوا إليه ما لم ينزله حين قالوا عن أصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأنّ الملائكة بنات الله، ونفوا عنه ما أنزله بأن أضافوا كلامه سبحانه إلى غيره [100].

قال الألوسي: "والمراد من الآية ذم أولئك الكفرة بأنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه سبحانه، ويجوز أن تكون لنوع آخر من الدلالة على أن القرآن ليس بمفترى، فإن من يعلم حال من يفتري على الله سبحانه كيف يرتكبه، وأن تكون من الكلام المنصف، أي لا أحد أظلم مني أن أقول لما ليس بكلام الله تعالى إنه كلامه كما زعمتم، أو منكم إن كنتم نفيتم أن يكون كلامه سبحانه مع تحقق أنه كلامه جل وعلا، وفيه من الوعيد والتهويل ما لا يخفى"[101].

---

(96) يُنظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء الحنفي (ص: 154) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (1/ 99).

(97) أنوار التنزيل: للبيضاوي (3/ 131).

(98) التحرير والتنوير: لابن عاشور (32/12).

(99) يُنظر: أنوار التنزيل: للبيضاوي (3/ 131).

(100) يُنظر: فتح القدير: للشوكاني (2/ 490)، روح المعاني: للألوسي (6/ 231)، محاسن التأويل: للقاسمي (84/6).

(101) روح المعاني: للألوسي (6/ 231).

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

مع تعدد صور تمرد المتمردين تعددت أساليب مواجهتهم، فالذي استغشى ثيابه ولم يسمع القرآن وتوقف عند هذه الصورة، بخلاف من سخِر وكذّب بآيته وافترى على الله الكذب، ففي الصورة الأولى بيّن لهم أنّ الله تعالى مطلع على كل ما خُفي وما أُعلن، أمّا في الافتراء عليه فقد تهددهم ووعدهم بفضحهم على رؤوس الأشهاد، بل ولعنهم؛ كونهم ظالمين، فقال سبحانه: {أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨} [سورة هود:18].

ثانيًا: الصدّ عن سبيل الله والكفر باليوم الآخر:

قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩} [سورة هود:19].

وصفت الآية الكريمة الظالمين الذين يفترون على الله الكذب بصفات ثلاث، الأولى: الصدّ عن سبيل الله تعالى، أي أنهم " يصدون الناس، عن الإيمان به، والإقرار له بالعبودة، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه"[102]، والثانية الزيغ عن طريق الاستقامة، وذلك من خلال قوله: {وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا} أي: "يلتمسون سبيل الله... زيغا وميلا عن الاستقامة [103]، وقال ابن أبي حاتم: أي: "يرجون بمكة غير الإسلام دينا"[104]، والثالثة الكفر باليوم الآخر، وهي سبب رئيس للصفتين السابقتين؛ إذ أنّ الكافر باليوم الآخر لا ينزجر عن فعل ما ينافي عظمة وهول ذلك اليوم.

والمتأمل في مظاهر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– يجد أنّها بدأت بالإعراض عن القرآن وعدم سماعه حتى أوصلتهم في نهاية المطاف إلى الكفر بالله وباليوم الآخر، وفي هذا أنّ المرء يحذر على نفسه من كل ما من شأنه أن يغضب الله تعالى وألّا يستهين بفعل دون آخر، إذ قد يكون سببًا في بداية تمرده على مولاه.

(102) جامع البيان: للطبري (15/ 265).

(103) المرجع السابق: (15/ 265).

(104) تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم (6/ 2018).

الأسلوب الذي واجههم به النبي –صلى الله عليه وسلم–:

لمّا كان الصدّ عن سبيل الله بمثابة الحرب والمواجهة مع الله تعالى، بين لهم وزنهم وقدرتهم على حقيقتها، وأن فعلهم هذا لا يجدي نفعًا أمام الله تعالى؛ لضعفهم وقلة حيلتهم وهوانهم عليه، بل هو وبال عليهم لا أكثر، فقال: {أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠}، قال ابن عباس: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم [105].

وفي خاتمة هذا المبحث الذي يشكل صلب البحث فإن المتأمل في الأساليب التي واجههم بها النبي –صلى الله عليه وسلم– يجد أن كثيرًا منها–خاصة التي تحمل في طياتها التهديد والوعيد– هي عقوبات للمتمردين الأشقياء، أذ أن من المبادئ الثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– مبدأ الثواب والعقاب، وكلاهما في هذه الأمة _غالبًا_ مّا يؤجّلا إلى اليوم الآخر، وقد يُعجلا أو يُعجَّل أحدهما في هذه الحياة الدنيا، ولا يكون هذا المبدأ إلا بعد إرسال الرسل، وإنزال الكتب، قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥} [سورة الإسراء:15]، وقال تعالى: {رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا} [سورة النساء:165]، فبعد أن طالب النبي –صلى الله عليه وسلم– قومه بمطالب –سبق ذكرها–، وبين لهم أنّه نذير وبشير فأعرضوا عنه وتمردوا عليه استحقوا هذه العقوبات جزاء وفاقًا، فمن العقوبات الدنيوية أنّهم هيّنون ضعفاء لا قيمة لهم ولا وزن عند الله، وذلك في قوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ} [سورة هود:20]، وأمّا العقوبات التي تنتظرهم في الآخرة فكثيرة، منها أنهم أصحاب النار، وأن صنيعهم محبط وعملهم باطل، وأنّهم سيُعرضهم على رؤوس الأشهاد ويلعنون؛ كونهم ظالمين، وأنهم من الخاسرين، بل وخُتمت السورة بالتهديد الواضح لهم، حيث قال تعالى: {وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣} [سورة هود:121-123].

(105) التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 569).

المبحث الثالث: أثر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– وتسلية ربّه له

اقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، كما اقتضت حكمته أن يرسل الملائكة لمن اصطفاهم من الناس، وأن يرسل للناس جميعًا رسلًا منهم؛ يقول ابن كثير: ولو بعث الله إلى البشر رسولا ملكيًا لكان على هيئة رجل؛ لتُفْهَم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه [106]، وقد بيّن الله تعالى لنا بشرية النبي – صلى الله عليه وسلم– في أكثر من موضع من كتابه العزيز -مع ما ميّزه عنّا بالعصمة من الزلل– فقال: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ} [سورة الكهف:110]، ويقول –صلى الله عليه وسلم–: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)) [107]، ولمّا كان الأمر كذلك كان لابد للنبي –صلى الله عليه وسلم– أن يعتريه ما يعتري البشر من حزن وسرور، وفرح وغضب ونحو ذلك؛ كونه من جنسهم، ومع موجة التمرد عليه من قِبل قومه بصورها ومظاهرها آنفة الذكر فقد تأثر –صلى الله عليه وسلم– لذلك وحزن حزنًا شديدًا، وما كان الله ليذر نبيه على ما هو عليه من الحزن والأسى، ولكنّه واساه وسلّاه عمّا أصابه من قومه، وأذهب عنه ما وجد في نفسه، بل وتوعد الأشقياء من قومه بالعذاب الأليم، وكانت هذه القضايا حاضرة في أكثر من موضع من سورة هود، وقد تمت دراستها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثر تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم–:

قال الله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ} [سورة هود:17].

مناسبةُ هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا ذَكَرَ في بَدْءِ السورة فعلهم المتمثل بقوله: {يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} [سورة هود:5]؛ كي لا يسمعوه، وقولهم في القرآن: {إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [سورة هود:7]؛ كي يصدوا الناس عنه، أردفَ ذلك بذكر تكذيبهم للرسول –صلى الله عليه وسلم– والقرآن، وبيان أنَّ همه وحزنَه –صلى الله عليه وسلم– مِنْ كلامهم، قد بلغ كل مبلَغ [108].

---

(106) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (241/3)

(107) صحيح البخاري كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حديث رقم: (392)، (156/1)، صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، حديث رقم: (1311)، (85/2)

(108) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهرري (13/ 9).

وللمفسرين في معنى الآية قولان، الأول منها: أن كفار مكة لمّا تمردوا عليه وطلبوا منه الآيات على سبيل العناد في قولهم: {لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ} [سورة هود:12]، وطلبوا منه أن لا يعيب آلهتهم، همَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن يترك عيبها رجاء أن يتبعوه فنزل قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ}من أمر الآلهة "{وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ}في البلاغ [109]، قال مقاتل: "أراد أن يحرّضه على البلاغ" [110]، "وإن كان معلوما أنه لا يترك؛ كقوله: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾} [سورة الأنعام:14].{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾} [سورة البقرة:147]، وأمثاله"[111]، و"يقال عند القرب إلى الفعل والدنو منه؛ كقوله: {لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾} [سورة الإسراء:74] [112]".

القول الثاني: أنَّ الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن، ويَضْحَكُون منه، ويتهاوَنون به، وكانَ رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– يضيق صَدْرُهُ لذلك، وأن يُلْقِي إليهم ما لا يقبلونه، ويستهزئونَ به، فأمَرَهُ الله سبحانَه بتبليغ ما أوحِي إليه، وأن لا يَلْتَفِتَ إلى استهزائهم، وأنَّ تحمُّلَ هذا الضَّرَرَ أهون من كتم شيء من الوحي [113]، قال الواحدي: "أي: لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم، تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك، {وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ} يريد: وضائق به صدرك بأن يقولوا: {لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ}" [114]، فتَرْكُ الوحي على القولين ناتج عن تمردهم عليه، وأمّا ضيق الصدر فعلى القول الأول أي: من بلاغ الوحي الذي من جملته تسفيه آلهتهم التي يدعونها من دون الله، وعلى القول الثاني أي من تكذيبهم وتمردهم عليه.

وعلى كلا القولين السابقين في معنى الآية فإن لها دِلالة واضحة مفادُها أن تمرد كفار قريش ترك أثر بالغًا في نفس النبي –صلى الله عليه وسلم–، تجلى هذا الأثر أكثر وأكثر في معنى الآية على القول الثاني، وهو مع هذه الحالة فقد احتيج إلى مؤازرة وتثبيت وتسلية من الله تعالى ليمضي قُدما في تبليغ دينه ورسالته، وهو ما سنقف عليه في المطلب التالي.

(109) يُنظر: جامع البيان: للطبري (258/15)، بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 141)، الكشف والبيان: للثعلبي (5/ 158).

(110) تفسير مقاتل بن سليمان (111/2).

(111) تأويلات أهل السنة: للماتريدي (104/6).

(112) تأويلات أهل السنة: للماتريدي (104/6).

(113) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهرري (13/ 9).

(114) التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 566).

المطلب الثاني: تسلية الله تعالى للنبي –صلى الله عليه وسلم-:

تشترك سور القرآن –ذات الطابع القصصي– في كثير من القضايا، منها الوظيفة التي يشترك في حملها جميع الرسل، وبيان سنن الله في خلقه تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– ومن معه، ونحو ذلك، وبعض هذه السور تذكر القصة دون التصريح بما يجب على النبي –صلى الله عليه وسلم– فعله، وإنّما يفهم من خلال إيرادها أنّها للعظة والعبرة، وأنّ العاقبة للمتقين، كما هو الحال مع سورة نوح مثلًا، فقد ذكر الله تعالى فيها قصّته مع قومه فحسب دونما تسلية أو توجيه مباشر، بينما بعض هذه السور تصرّح في ثناياها بتسلية وإيناس النبي – صلى الله عليه وسلم– ومن معه من الثلة المؤمنة إزاء ما يلقاه من قومه، ومن هذا السور سورة هود –محل الدراسة–، وفي هذا يقول الطيبي –في حاشيته على الكشاف–: "ثم إنك– أيها المتأمل– إذا أمعنت النظر، وجدت هذه السورة الكريمة إلى خاتمتها مؤسسة على تسلي الحبيب، ودفع نسبة الافتراء من التنزيل، ألا ترى حين شرع في قصة نوح عليه السلام، وقبل أن يسردها، كيف أتى بقوله: {أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ} [سورة هود:35] عاطفا على مثلها بعد الكلام الطويل، ولهذا ذهب مقاتل[115] إلى أنها في محمد صلوات الله عليه، وإن توسَطَتْ بين قصة نوح عليه السلام، ولما استوفى حقها جاء بقوله: {تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩} [هود: 49] مزيدا للتسلي، وحين ختم السورة الكريمة جيء بقوله: {وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠} [سورة هود:120] إلى قوله: {وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١} [سورة هود:121]" [116].

ونسعى في هذا المطلب إلى الوقوف مع الآيات التي سلّى الله تعالى فيها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهي أكثر مما ذكره الطيبي سابقًا، وقد أتت حسب الترتيب أو التشابه على النحو الآتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: {إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢} [سورة هود:12].

أتت هذه التسلية من الله تعالى بعد أن تسلل أثرُ تمردِهم إلى قلبه –صلى الله عليه وسلم–، وأخذ من عزيمته مأخذه كما عرفنا في المطلب السابق، فقال له ربه: {إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢} [سورة

(115) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (116/2).

(116) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشاف (32/8).

هود:12]" أي هذا القدر هو الذي فُوِّضَ إليك، والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي لإيمان من شاء وكفر من شاء" [117].

قال القاسمي: "لما لم يقبلوا كلامه –صلى الله عليه وسلم– بالإرادة، وأنكروا قوله بالاقتراحات الفاسدة، وقوله بالعناد والاستهزاء، ضاق صدره، ولم ينبسط للكلام، إذ الإرادة تجذب الكلام، وقبول المستمع يزيد نشاط المتكلم، ويوجب بسطه فيه، وإذا لم يجد المتكلم محلّا قابلا لم يتسهل له، وبقي كربا عنده، فشجعه الله تعالى بذلك، وهيّج قوته ونشاطه بقوله: {إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ}، فلا يخلو إنذارك من إحدى الفائدتين: إما رفع الحجاب بأن ينجع فيمن وفقه الله تعالى لذلك، وإما إلزام الحجة لمن لم يوفق لذلك، ثم كل الهداية إليه [118].

وفي هذا أنّ الداعية إلى الله تعالى لا ييأس من دعوة النّاس، ولا يحملنه أذى الأشقياء وتمردُهم عليه ترك دعوتهم فضلًا عن دعوة غيرهم.

الموضع الثاني: وفيه آيتان متشابهتان، الآية الأولى قوله تعالى: {فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧} [سورة هود:17]. أي "فلا تك في شك منه، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار [119]، وأن هذا القرآن [120] الذي أنزلناه إليك من عند الله" [121]، والنهي مستعمل كناية تعريضية بالكافرين بالقرآن [122]، وإلا فما شك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما أوحي إليه، ولا امترى – وهو على بينة من ربه – ولكن هذا التوجيه الرباني عقب حشد هذه الدلائل والشواهد يشي بما كان يخالج نفس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من ضيق وتعب ووحشة من جراء تجمد الدعوة وكثرة المعاندين، تحتاج كلها إلى التسرية عنه بهذا التوجيه والتثبيت. وكذلك ما كان يخالج قلوب القلة المسلمة من ضيق وكرب يحتاج إلى برد اليقين يتنزل عليهم من ربهم الرحيم"[123].

الآية الثانية قوله تعالى: {فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ} [سورة هود:109]، الفاء استئنافية والجملة مسوقة للدلالة على ما أحدثته القصص السالفة في نفسه –صلى الله عليه وسلم– من أثر، وأن عكوف كفار قريش

(117) المحرر الوجيز: لابن عطية (171/3).

(118) محاسن التأويل: للقاسمي (79/6).

(119) وهو قول ابن عباس، يُنظر: زاد المسير: لابن الجوزي (4/ 89).

(120) وهو قول مقاتل، يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 113).

(121) جامع البيان: للطبري (279/15)

(122) يُنظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (30/12).

(123) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1865).

على عبادة أصنامهم ليست من دواعي المثبطات لعزيمته [124]، والمعنى: فلا تشك بعد ما أُنزل عليك من هذ القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم، وفي هذا تسلية لرسول الله (–صلى الله عليه وسلم–)، وعدة بالانتقام منهم لتمردهم عليه، ووعيدًا لهم بالعذاب [125] كما سيأتي في المطلب الآتي، "وما بالنبيّ الكريم شكّ ولا ارتياب، فى أنّ ما يعبده قومه هو الضلال المودي بأهله والمورد لهم موارد الهلاك والبلاء، ولكن هذا النهى، هو تأكيد لما في قلب النبي من إيمان بربّه، وتثبيت له على الطريق الذي هو قائم عليه، وإن لقى فيه ما لقي من ضرّ وأذى!" [126].

وقيل بأنّ النهي موجّه لكل من شكّ، أي قل له يا محمد {فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ} أن الله عز وجل ما أمرهم به، وإنما يعبدونها كما كان آباؤهم يفعلون تقليدا لهم[127]، وعلى هذا القول لم يكن في الآية تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم–؛ كونها موجّهة لقومه، ولكنّه قول غريب؛ إذ هو مخالف لظاهر النص من غير قرينة تدل عليه، كما أنّه مخالف لقول جمهور أهل التفسير، إذ لم يقل به إلا النزر اليسير من المفسرين[128] منهم القرطبي وابن عاشور، ومع إيراد ابن عاشور لهذا القول إلا أنّه أورد قول الجمهور في الآية، إذ قال: "ويجوز أن يكون تثبيتا للنبيء –صلى الله عليه وسلم– على ما يلقاه من قومه من التصلب في الشرك" [129].

وقد جمع صاحب الظلال بين القولين بقوله: أي " لا يتسرب إلى نفسك شك في فساد عبادة هؤلاء، والخطاب للرسول –صلى الله عليه وسلم– والتحذير لقومه، وهذا الأسلوب أفعل في النفس أحيانا... إهمالا لهم وقلة انشغال بهم! وعندئذ يكون لتلك الحقيقة الخالصة المجردة أثرها في اهتمامهم، أكثر مما لو خوطبوا بها خطابا مباشرا" [130].

---

(124) إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش (4/ 435).

(125) يُنظر: الكشاف: للزمخشري (2/ 406)، البحر المحيط: لأبي حيان (6/ 215)، محاسن التأويل: للقاسمي (6/ 132)، مدارك التنزيل: للنسفي (47/2).

(126) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب (6/ 1204).

(127) يُنظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن طالب (5/ 3473)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/ 103) زهرة التفاسير: لأبي زهرة (7/ 3757).

(128) أول من قال به مكي بن طالب، وتابعه القرطبي وأبو زهرة وابن عاشور في أحد أقواله، يُنظر: الهداية الى بلوغ النهاية: لمكي بن طالب (5/ 3473)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (9/ 103)، زهرة التفاسير: لأبي زهرة (7/ 3757)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/ 167).

(129) التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/ 167).

(130) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1930).

الموضع الثالث: قوله تعالى: {تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩} [سورة هود:49].

تعامل كثير من المفسرين مع الآية محل الدراسة بناءً على ظاهر معاني الألفاظ الواردة فيها، أمّا من حيث اللطائف والإشارات –من مواساة وتثبيت وتسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم–– فلم يلتفت إليها إلا قليل منهم، وتتمثل التسلية في الآية من قوله تعالى: {فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩}، يقول الطبري في المعنى أي: " على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح"[131]، ويُقسّم ابن عاشور الآية إلى امتنان وموعظة وتسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فالامتنان من قوله: {مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ}، والموعظة من قوله: {فَٱصۡبِرۡ}، والتّسلية من قوله: {إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ}[132]، "وفي هذا تسلِيةٌ لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتبشير له بأن الظفر للمتقين في عاقبة الأمر ولا اعتبار بمباديه"[133].

الموضع الرابع: قوله تعالى: {وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠}

تأتي هذه الآية في خاتمة سورة هود كخلاصة للعلل التي لأجلها أورد الله قصص من سبق من الأنبياء، مع بيان مظاهر تمرد أقوامهم عليهم وكيف واجهوهم، إذ أن الله تعالى طمان نبيه و"سكّن بها قلبه بما قص عليه من أنباء المرسلين، وعرّفه أنه لم يُرقِّ أحدا إلى المحل الذي رقّاه إليه، ولم ينعم على أحد بمثل ما أنعم عليه"[134]، قال ابن عباس في معنى قولهِ: {مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ} أي: ليزيدك يقينا ويقوي قلبك[135]، قال الخازن: "يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك؛ وذلك لأن النبي (–صلى الله عليه وسلم–) إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه"[136]، وعلل الواحدي ذلك بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا سمعها كانت تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه [137].

(131) جامع البيان: للطبري (15/ 356).

(132) يُنظر: التحرير والتنوير : لابن عاشور (12/ 92).

(133) تفسير حدائق الروح والريحان: للهرري (13/ 107).

(134) يُنظر: لطائف الإشارات: للقشيري (2/ 163).

(135) يُنظر: التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 598).

(136) لباب التأويل: للخازن (3/ 259).

(137) يُنظر: التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 598).

وتعليقًا على هذه التسلية العظيمة من الله تعالى للنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول صاحب الظلال: "ويا لله للرسول –صلى الله عليه وسلم– لقد كان يجد من قومه، ومن انحرافات النفوس، ومن أعباء الدعوة، ما يحتاج معه إلى التسلية والتسرية والتثبيت من ربه – وهو الصابر الثابت المطمئن إلى ربه" (138).

الموضع الخامس: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾} [سورة هود:1-123].

حوت الآية الكريمة جملًا عدّة، جلّها يشير إلى تطمين وتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– مما يلقاه من قوم، نقف مع ثلاث منها، قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ} قال الطيبي: "هذه الكلمة جامعة، فيدخل فيها تسلية الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وتهديد الكفار، والانتقام منهم، دخولا أوليًا"(139)، وقوله تعالى: {فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} ثق به؛ فإنه كافيك(140)، قال الطبري: "يقول: فاعبد ربك يا محمد {وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}، يقول: وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه"(141).

وقوله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} خاتمة تذهب حزنه –صلى الله عليه وسلم–، وتسلي قلبه عمّا يلقاه من تمرد قومه، أي: "فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق، وامض لأمر ربك، فإنك بأعيننا" (142)، قال ابن كثير: "أي ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين" (143).

(138) التفسير الوسيط: للواحدي (2/ 598).

(139) حاشية الطيبي على الكشاف: للطيبي (8/ 235).

(140) فتح الرحمن في تفسير القرآن (3/ 387).

(141) جامع البيان: للطبري (15/ 545).

(142) جامع البيان: للطبري (15/ 545).

(143) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (4/ 312).

المبحث الرابع: المنهج الرباني التحصيني من نهج المتمردين، وفيه أربعة مطالب:

بعد أن ذكر الله تعالى صور تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم أتبعها بصور تمرد كفار قريش على جملة من الأنبياء، ختم السورة الكريمة بمنهج وقائي للنبي –صلى الله عليه وسلم– ومن تَبِعَهُ من الأتقياء، وكما أن هذا المنهج جاء خاتمة للسورة الكريمة فقد جعله الباحثان أيضًا خاتمة لهذا البحث، فهو بمثابة العلاج والحلول التي ينتظرها القارئ ليحصن نفسه ومن معه من نهج الأشقياء وتمردهم، وقد تمت دراسته في أربعة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الاستقامة على مراد الله وعدم الطغيان:

قال تعالى: {فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَۚ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢} [سورة هود:1-112].

يقول الهرري –في مناسبة الآية لما قبلها–: " أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا بينَ أمرَ المختلفينَ في التوحيد، والنبوة وأطنبَ في وعدهم ووعيدهم، أمرَ رسولَه –صلى الله عليه وسلم–، ومَنْ تاب معه بالاستقامة"[144]، ويظهر أيضًا أنّ للآية مناسبة للآيات الأولى من صدر السورة، فلمّا أمر الله نبيّه أن يبلغ قومه عبادة الله وحده وأن يستغفروه ويتوبوا إليه، أمره بالاستقامة على هذا الأمر ومن استجاب من قومه وتاب معه من الشرك، كما أنّه لمّا حذرهم من الشرك حذره ومن معه هنا من الطغيان، وهو مجاوزة الحد ومنه الشرك، وفي ختمه للآيات الأولى بالتهديد من اليوم الآخرة وقدرته وعلمه بذات الصدور، ختم الآية محل الدراسة بالعلم والبصر المطلق.

ومعنى الآية: أي فامض يا محمد بالتوحيد كَمَا أُمرتَ وَمن تَابَ مَعَكَ من الشرك، فليستقيموا معك، فامضوا على التوحيد، وَلاَ تَطغواْ فيه، يقول: ولا تعصوا الله في التوحيد [145].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبتَ، قال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت» [146]، وقد جاء عند البيهقي أن الآية محل الدراسة هي سبب قوله –صلى الله عليه وسلم– للحديث آنف الذكر، فعن عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتني هود! قال: نعم، فقلت: ما

(144) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للهرري (248/13).

(145) تفسير مقاتل بن سليمان (133/2).

(146) سنن الترمذي: باب: ومن سورة الواقعة (5/ 402)، سبق تخريجه.

الذي شيبك قصص الأنبياء و هلاك الأمم ؟ قال : لا و لكن قوله : {فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ}[147]، مما يدل أنّ الاستقامة على أمر الله ومراده أمر عزيز، ويحتاج إلى مجاهدة يشيب لها المرء، وأنها من أنجع الوسائل للوقاية من نهج الأشقياء، ومن ثمّ جعل الله تعالى الاستقامة مضبوطة بعدم المجاوزة فقال: {وَلَا تَطۡغَوۡاْ} قال الطبري: أي: "ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه"[148]، قال ابن عاشور: " والطغيان أصله التّعاظم والجراءة وقلة الاكتراث ... والمراد هنا الجراءة على مخالفة ما أمروا به" [149]، وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت[150]،والطغيان –سواء أكان إفراطًا أو تفريطًا– منهي عنه في كل الأحوال.

قال صاحب الظلال: " النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة، لم يكن نهيا عن القصور والتقصير، إنما كان نهيا عن الطغيان والمجاوزة، وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه في الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهي إلى الغلو والمبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر، والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير، وهي التفاتة ذات قيمة كبيرة، لإمساك النفوس على الصراط، بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء[151].

المطلب الثاني: عدم الركون إلى الظالمين:

قوله تعالى: {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣} [سورة هود:113].

الركون هو الميل إلى الغير والاستعانة به كما قال الله تعالى عن لوط: {قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠} [سورة هود:80]، ومعنى الآية: "ولا تميلوا إلى أهل الشرك، يقول: ولا تلحقوا بهم"[152]، قال الطبري: "ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم"[153]، وقال

(147) شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1410تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، باب: ذكر سورة هود (2/ 472).

(148) جامع البيان: للطبري (15/499).

(149) التحرير والتنوير (12/ 177)

(150) معالم التنزيل: للبغوي (2/ 468)

(151) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1931)

(152) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 134)

(153) جامع البيان: للطبري (15/500).

القشيري: "لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف لهم، ولا تأخذوا شيئا من حرام أموالهم، ولا تساكنوهم بقلوبكم، ولا تخالطوهم، ولا تعاشروهم "[154]، والآية على هذا القول عامة في كل ظالم وليست خاصة بأهل الشرك، قال القرطبي: "وهذا هو الصحيح في معنى الآية؛ وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة."[155].

وفي معنى الركون المنهي عنه يقول النيسابوري: " هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون"[156]، ومن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم من المسلمين فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع، ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والأليق به[157] و"الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم، والتهديد عليه، لأن هذا الوعيد الشديد إذا كان فيمن يركن إلى أهله، فكيف بمن ينغمس في حمأته؟"[158].

المطلب الثالث: إقامة الصلاة ولزوم الصبر:

قوله تعالى: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥} [سورة هود:113-114].

من أبرز وظائف الصلاة الحقيقية النهي عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ} [سورة العنكبوت:45]، ومن المنكرات التي تعالجها التمرد، وعليه فالصلاة علاج ناجع وحصن حصين من الانزلاق في التمرد والشقاء، أو حتى من الرضا بسبيل المتمردين.

قال البقاعي في تناسب الآيات الداعية إلى التحصن من التمرد والشقاء: " ولما تم هذا على هذا الوجه الأعلى والترتيب الأولى، قال تعالى مادحًا له ليُعرف مقداره فيلزم: {ثم} أي الأمر العالي الرتبة الذي تقدم من الترغيب

(154) لطائف الإشارات: للقشيري (500/15).

(155) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (108/9).

(156) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري (56/4).

(157) يُنظر: فتح القدير: للشوكاني (530/2).

(158) محاسن التأويل: للقاسمي (15/6).

والترهيب والتسلية وتعليم الداء والدواء للخلاص من الشقاء {ذِكۡرَىٰ} أي ذكر عظيم {لِلذَّٰكِرِينَ}أي لمن فيه أهلية الذكر والانتباه به بحضور القلب وصفاء الفكر ونفوذ الفهم[159]، ثم ختم الأوامر اللازمة للعبد بالأمر بالصبر، ومناسبة وقوعه عقب الأمر بالاستقامة والنهي عن الركون إلى الذين ظلموا، أن المأمورات لا تخلو عن مشقة عظيمة ومخالفة لهوى كثير من النفوس، فناسب أن يكون الأمر بالصبر بعد ذلك ليكون الصبر على الجميع كل بما يناسبه [160].

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان عاقبة تركهما:

بعد أن ذكر الله تعالى جملة من الأوامر الملازمة لذات الفرد في النجاة من سلوك سبيل المتمردين، ختم الله تعالى تلك الأوامر بأمر متعد إلى الغير، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: {فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦} [سورة هود:116].

وأولو البقية هم أولو الدين كما قال ابن عباس [161]، ومن مهامهم النهي عن الفساد في الأرض، والفساد في الأرض: "هو الكفر وما اقترن به من المعاصي"[162]، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًا الفساد المتعدي على الغير كالبغي والتمرد والاعتداء على المال العام وكل ما من شأنه أن يقلق السكينة العامة، وفي الآية تنويه بأصحاب النبي (–صلى الله عليه وسلم–) فإنّهم أولُو بقيّة من قريش يدعونهم إلى الإيمان حتى آمن كلّهم ، وأولُو بقية بين غيرهم من الأمم الذين اختلطوا بهم يدعونهم إلى الإيمان والاستقامة بعد الدخول فيه ويعلّمون الدين ، كما قال تعالى فيهم :{كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ} [سورة آل عمران:110]، بل فيها تنبيه لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– كافة وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد؛ كي لا يصيبها ما أصاب الأمم من قبلها[163].

(159) نظم الدرر: للبقاعي (3/587).

(160) يُنظر: التحرير والتنوير (12/ 182).

(161) التفسير الوسيط: للواحدي (2/597).

(162) المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 228).

(163) يُنظر: المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 228)، التحرير والتنوير: لابن عاشور (12/184).

يقول صاحب الظلال: "فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، إما بهلاك الاستئصال، وإما بهلاك الانحلال"[164].

وبين الطائفة التي حصّنها الله تعالى بالمنهج الرباني –آنف الذكر– من سبيل المتمردين وبين المتمردين الذين حذر الله منهم يأتي بيان لطائفة شغلتهم ملذّاتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم المترفون، حيث قال فيهم: {وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦} [سورة هود:116]، قال الزمخشري: "تاركي النهي عن المنكرات، أي : لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتَّترُّف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"[165]، وبسبب ترفهم وعدم أمرهم بالمعروف أو نهيهم عن المنكر لم يختلف حالهم عن حال المتمردين في ميزان الله تعالى، فقد وصفهم في ختام الآية بالمجرمين، "لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام، أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر... ويجوز أن يكون اعتراضًا وحكمًا عليهم بأنهم قوم مجرمون"[166]، وقال الطبري: "أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله[167].

(164) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 1933).

(165) الكشاف: للزمخشري (412/2).

(166) الكشاف: للزمخشري (413/2).

(167) جامع البيان: للطبري (229/15).

خاتمة البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبشكره تُقيدُ النِّعم والطيبات، وتُجلبُ العطايا والبركات، والصلاة والسلام على محمد خير البريات، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين ما دامت الأرض والسماوات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان عدد ما فات وما هو آت، وبعد:

فهذه خاتمة البحث الموسوم ب " مظاهرُ تمرد كفار قريش على النبي –صلى الله عليه وسلم– والأساليب التي واجههم بها (سورة هود أنموذجًا)"، وقد توصل الباحثان إلى عدّة نتائج وتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولًا: النتائج:

1. إن الإعراض عما أنزل الله هو أول الأسباب وأبرزها للتمرد على الحق.
2. إن الداعي إلى الله لا شك سيعتريه الهم والغم من تمرد المدعوين، فعليه أن يتثبّت بما ثبّت الله به نبيه صلى الله عليه وسلم.
3. إن إيراد تمرد كفار قريش في سورة هود مع تمرد الأمم السابقة إنّما هو لتثبيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وتسليته، وقد ذكر الله ذلك صراحة في نهاية السورة.
4. وكما أن سورة هود ذكرت التمرد وأسبابه، فإنها في المقابل خُتمت بمنهج يقي من الوقوع في شيء من ذلك.
5. إن اختلاف الأساليب التي استعملها النبي –صلى الله عليه وسلم– مع متمردي كفّار قريش مرتبط باختلاف ودرجة التمرد الذي مارسوه، فالذي استغشى ثيابه ولم يسمع القرآن وتوقف عند هذه الصورة، بيّن له أنّ الله تعالى مطلع على كل ما خُفي وما أُعلن، وأمّا من افترى على الله الكذب فقد تهدده ووعده بفضحه على رؤوس الأشهاد، ومستحق للعن أيضًا.
6. كما أن تنوع هذه الأساليب فيها رسم للمنهج المتبع مع المتمردين على الحق في كل زمان ومكان، وأن يُعامل كل متمرد بما يناسب تمرده.

ثانيًا: التوصيات:

1. على الجهات المسؤولة –خاصة على العملية التعليمية– تفعيل العلاج الناجع الوارد في نهاية سورة هود؛ وذلك لتحصين المجتمع من نهج المتمردين.
2. عمل دراسة عن التمرد في العصر الحديث خاصة في الجانب السياسي، لمعرفة الدواعي والأسباب للتمرد مع استنباط الأساليب المناسبة لمواجهته والحلول لمعالجته خاصة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرن الكريم.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
3. إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش محي الدين الدرويش، دار النشر: دار الإرشاد . سورية، عدد الأجزاء / 10.
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418هـ.
5. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، عدد الأجزاء: 3، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.
6. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر –بيروت، الطبعة: 1420هـ.
7. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
8. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر –تونس، سنة النشر: 1984هـ.
9. التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ
10. تفسير التستري: لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: 283هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى –1423هـ
11. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز –المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة –1419هـ.
12. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999م.
13. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار النشر: دار الفكر العربي – القاهرة، عدد الأجزاء / 16
14. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ–2005م.
15. تفسير الماوردي = النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت/ لبنان.
16. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الناشر: دار الفكر المعاصر –دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

17. التفسير الوسيط: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، عدد الأجزاء: 4

18. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى،1421هـ-2001م، (222/20).

19. تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث –بيروت، الطبعة: الأولى –1423هـ.

20. تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تقديم وتحقيق: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م، (508/2).

21. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2001م، تحقيق: محمد عوض مرعب، عدد الأجزاء / 15، الطبعة: الأولى.

22. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م.

23. الجامع الكبير "سنن الترمذي": لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل . بيروت + دار الغرب الإسلامي . بيروت، الطبعة: الثانية 1998م.

24. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423هـ/ 2003م.

25. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر – مصر، سنة النشر: [1424هـ . 2003م]

26. دائرة معارف الأسرة المسلمة: علي بن نايف الشحود

27. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحانم، محمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 2.

28. الدعوة إلى فئة المتخصصين في العلوم الشرعية: حمد بن عبد الله العمار. الرياض: دار ابن الجوزي، 1423هـ.

29. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

30. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي –بيروت، الطبعة: الأولى –1422هـ.

31. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

32. صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط:1، 1422هـ.

33. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416هـ.

34. فتح الرحمن في تفسير القرآن: لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: 927 هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، ن: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة – إِدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، ط:1، 1430 هـ – 2009م.

35. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى –1414هـ.

36. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، 1434هـ–2013م.

37. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار النشر: دار الشروق–القاهرة، (2385/4).

38. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:8، 1426هـ –2005م.

39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407هـ.

40. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، تحقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422، هـ – 2002 م.

41. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت.

42. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م، عدد الأجزاء: 4.

43. لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ن: دار الفكر – بيروت / لبنان –، 1399 هـ.

44. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414هـ.

45. لطائف الإشارات (تفسير القشيري): عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب–مصر.

46. مجمع اللغة العربية المعاصرة. عبد الحميد، أحمد مختار. ج 2، الرياض: مجمع اللغة العربية، 1443هـ.

47. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ

48. مختار الصحاح. الرازي، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

49. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422هـ.

50. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس . بيروت 2005م، تحقيق: مروان محمد الشعار.

51. معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

52. معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ – 1988م.

53. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثالثة –1420هـ

54. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ.

55. نهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة: عبد الله بن محمد الحوشاني، الرياض: دار الوطن للنشر، 1417هـ.

56. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م، عدد الأجزاء: 13 (12، ومجلد للفهارس.

57. وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد: دراسة تأصيلية، محمد عبد المطلب حين، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن للنشر، 1424هـ.

Stardom University

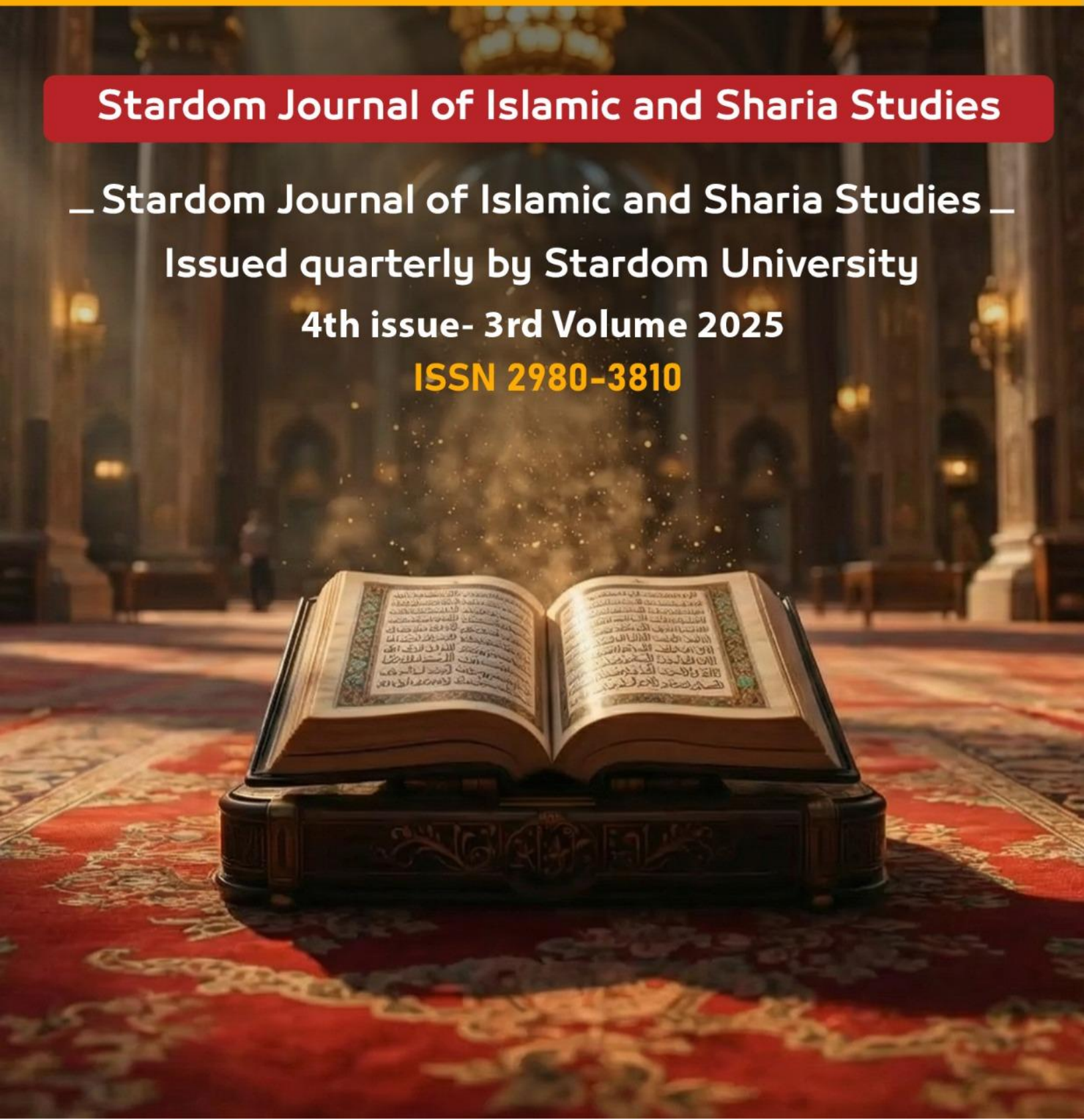

Stardom Journal of Islamic and Sharia Studies

_ Stardom Journal of Islamic and Sharia Studies _

Issued quarterly by Stardom University

4th issue- 3rd Volume 2025

ISSN 2980-3810